

ملخص ورقة العمل الموسومة " النهضة الثقافية العربية الأفريقية: دور البرلمانات" والمقدمة من قبل الدكتور / الويز ميساجو - جامعة بوروندي

خلفية تمهيدية :

يعود تاريخ التواصل بين أفريقيا السوداء والعالم العربي إلى ما لا يقل عن 2000 عام ويوجد في العالم العربي الذي نحن بصدد الحديث عنه الآن إحدى وعشرين دولة يقدر عدد سكانها بـ 337 مليون نسمة . ومن الناحية الجغرافية يشغل العالم العربي رقعة واسعة تمتد مسافة آلاف الكيلومترات ، حيث يحده البحر المتوسط وسلسلة جبال الطوروس والصحراء وكرديستان وغرب إيران . ويقع جزء من العالم العربي في القارة الأفريقية حيث يتألف من سبع دول تقع في منطقتي النيل والمغرب العربي وتمثل حلقة وصل بين العالم العربي وأفريقيا ومنطلقاً للتعاون فيما بينهما.

العلاقات العربية الأفريقية :

الحضور الأفريقي في العالم العربي :

في فترة ما قبل الإسلام كان الأفارقة السود يسافرون إلى قارة آسيا في إطار تجارة الرقيق ولكن أولئك الأفارقة لم يكونوا ليسافروا إلى آسيا كعبيد فقط وإنما كفاتحين أيضاً .

وفي عهد النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) وصل إلى مكة جيش من المرتزقة من كل من أثيوبيا والصحراء الأفريقية و عرب البادية وذلك لحماية طرق القوافل التجارية وحراسة أصحاب الجاه والنفوذ في مكة .

الحضور العربي في أفريقيا :-

كما لاحظنا آنفاً فإن المنطقة العربية وأثيوبيا تحتفظان بعلاقات متينة منذ القرنين الخامس والسادس الميلاديين . كما أن النبي محمد نفسه كان غالباً ما ينصح أتباعه المخلصين الذين كان يحرض على حمايتهم بالجوء إلى أثيوبيا كي ينجوا بأنفسهم من اضطهاد الوثنيين في مكة . ولكن تغلغل العرب في أفريقيا لم يحدث إلا بعد وفاة النبي محمد في العام 632 . وبعد عشر سنوات تواجد العرب في أغلب المدن الهامة في شرق أفريقيا . وقد تم غزو مدينة دمشق عام 636 بينما غزيت القدس عام 638 أما الإسكندرية فقد تم غزوها عام 624 . وابتداء من عام 679 فصاعداً وصل العرب إلى ليبيا وتونس ، وفي القرن العاشر حصل تقدم كبير في تعريب منطقة المغرب . بينما حصل هناك توسع باتجاه الجنوب ابتداء من مصر وليبيا وشمال أفريقيا . وفي القرن الثاني عشر تم تأسيس مملكة كانم الإسلامية .

أسباب التغلغل العربي في أفريقيا :-

أن احد أسباب التغلغل العربي في أفريقيا يتمثل بالتأكيد في وجود رغبة لنشر الدين الإسلامي ألا أن ذلك لم يكن السبب الوحيد فقد كان العالم العربي بإستثناء مصر - التي كانت تعتبر منطقة زراعية - يتألف بشكل كبير من تجمعات بدوية منظمة تعمل في التجارة حيث كانت قوافلها تقطع مسافات كبيرة ، و كانت التجارة تركز بشكل كبير على الاتجار بالذهب من أعالي السنغال ومنطقة اشانت ، وكانت القوافل التجارية تقوم بنقل السلع والبضائع إلى الإمبراطورية الرومانية وأوروبا الوسطى والشرق القديم والعالم العربي حتى تم اكتشاف القارة الأمريكية . وكانت الصادرات تشمل العاج والصمغ والعمور والتمور والملح والملابس والخيول والنحاس وقضبان الحديد والأسلحة .

نتائج العلاقات العربية الأفريقية :-

العلاقات الدينية والثقافية :-

لقد كان انتشار الإسلام في أفريقيا يمثل احد أهم النتائج الهامة التي تمخضت عن التواصل بين العرب والأفارقة حيث ان الاستعمار لم يعيق انتشار الإسلام الذي وصل إلى عدة مناطق في الساحل الأفريقي وكان له أثره ودوره البارز في صيانة النظام الاجتماعي وتحقيق التقدم والازدهار .

تقوية عرى التكافل :-

لقد ساهم المسلمون الذين وصلوا إلى أفريقيا بأعداد كبيرة بشكل كبير في تأسيس علاقات ثقافية ودينية مع العالم العربي وهي علاقات شكلت اساساً للتعاطف والتفاهم المتبادل إضافة إلى تقوية عرى التكافل والتضامن بين المنطقتين التي ازدادت قوة وصلابة فيما بعد .

مجتمع المعرفة :-

لقد كانت هناك علاقات وارتباطات معرفية بين العلماء في ساحل أفريقيا والعالم العربي منذ أزمنة بعيدة ، حيث كان الأفارقة يتلقون تعليمهم في جامعة الأزهر في القاهرة وجامعات أخرى في العالم العربي . وتعتبر الجامعات المغربية وجهة مفضلة يقصدها الطلبة من مختلف مناطق أفريقيا السوداء . وقد قام العرب بدعم تحرير وانعتاق الأفارقة من أنظمة الأقلية العنصرية في جنوب أفريقيا ، كما أن الأفارقة بدورهم قاموا بدعم القضية العربية في الشرق الأوسط بشكل علني . وهناك شعور عام في أن التجارب العربية الأفريقية المتشابهة وكذا العلاقات الثقافية

ووضع الشعوب العربية الأفريقيّة التي تترجح تحت الهيمنة الدولية يمكن أن تشكل منطلقاً وأساساً قوياً للعلاقات المستقبلية بين المنطقتين المتجاورتين .

التحديات :

نتائج الرق والعبودية :

كما لاحظنا أنّاً فإن الجانب المظلم في تاريخ العلاقات العربية الأفريقية يتمثل في انخراط العرب في تجارة الرقيق ، ولكننا غالباً نميل إلى إغفال حقيقة أن الإسلام يحرم العبودية ويعتبرها ضمن الممارسات المؤسفة التي تم التغاضي عنها . كما أن الإسلام دين يناهض بكل قوة وحزم مسألة التمييز العنصري .

التضامن بسبب وجود صراعات :-

ينتبأ بعض المراقبين أن العلاقات العربية الأفريقية يمكن أن تواجه تحديات خطيرة في المستقبل وذلك لدى توافر حلول للمشاكل التي ساهمت في أحداث نوع من التضامن بين المنطقتين . وفي الواقع فإن التحالف السياسي الطويل الأمد بين المنطقتين سوف يعتريه المزيد من الضبابية وخصوصاً بين الجماعات التي كانت مهتمة بتأسيس علاقات فيما بينها نتيجة وجود عدو مشترك لها . فأعداء اليوم يمكن أن يصبحوا بسهولة اصدقاء المستقبل .

شراكة أكثر توازناً :-

إن واحداً من أخطر التحديات التي تواجهها تلك العلاقات يتمثل في محاولة احد الطرفين الهيمنة على الآخر . فقد يروق للعالم العربي ذي القوة الاقتصادية الكبرى السيطرة والهيمنة على الاتحاد الأفريقي ومصرف التنمية الأفريقية والمجموعة الأفريقية في الأمم المتحدة وبقية المنظمات والمؤتمرات الدولية ، حيث يتهم العرب بمحاباة الدول الأفريقية ذات الغالبية المسلمة فيما يتعلق ببرامج الدعم . ومع تفهم تعاطف العرب والمسلمين مع الدول الإسلامية في أفريقيا السوداء ألا انه ينبغي عليهم ألا يغفلوا حقيقة أن ثمان دول واقعة في شبة الصحراء الأفريقية يشكل المسلمون ما لا يقل عن 50% من سكانها. وعليه فإن محاباة المسلمين بشكل كبير من قبل العرب سيجعل الدول العربية تجد نفسها معزولة عن عدد كبير من دول أفريقيا السوداء .

وهناك قضية أخرى تستحق الاهتمام وهي مصير الأفارقة في بعض البلدان التي يكون فيها عدد السكان العرب كبيراً .

وقد أظهرت العديد من البلدان الأفريقية ذات البشرة السوداء تعاطفها مع السكان السود في جنوب السودان ودعم البعض انتفاضتهم . وايضاً يوجد عدد كبير من السكان السود في موريتانيا . إن قدرة العرب والأفارقة على العيش سوياً في انسجام ووثام في هاتين الدولتين له تأثير كبير على التعاون العربي الأفريقي .

دور البرلمان في تعزيز النهضة الثقافية العربية - الأفريقية :- الهوية الثقافية :-

بناءً على التحليل الوارد أعلاه فإنه بإمكاننا الوقوف على دور البرلمانات في تعزيز النهضة الثقافية الأفريقية - العربية .

فكما نعلم ، فإن الهوية الثقافية جزءاً من هوية الإنسان ، وترتبط عناصر الهوية الثقافية المتمثلة في التاريخ المشترك واللغة المشتركة ارتباطاً وثيقاً بوجود الدولة والدين المشترك . ولذا فإن البرلمانات مدعوة إلى تعزيز وتشجيع تلك العناصر التي تشكل أساساً للهوية الثقافية ويمكن لها أن تكون جسراً بين الشعوب المختلفة .

تعزيز الديانات وحماية الأماكن المقدسة :-

يعتبر الدين واحداً من ركائز الهوية الثقافية ، وعلى برلمانات أفريقيا والعالم العربي أن تسن تشريعات تضمن احترام الأديان والأماكن المقدسة وكذا حماية الثقافات الوطنية المختلفة .

تعزيز الحوار بين المجتمع :-

في السياق ذاته ، هناك حاجة ملحة لتقوية جسور الحوار بين المجتمعات الأفريقية والعربية وكذلك أسس التصالح والتعايش المشترك وينبغي أن تلعب البرلمانات الأفريقية والعربية دوراً في سن التشريعات والقوانين والمساهمة في تطوير السياسات العامة التي تكافح وتناهض أي شكل من أشكال التمييز أياً كان نوعه أو طبيعته . وللبرلمانات الأفريقية العربية دوراً هاماً في تشجيع وتعزيز الوئام والانسجام ووحدة التنوع والتصالح بين الثقافات المختلفة وتعايش الشعوب مع بعضها البعض بثقافتها وعاداتها المختلفة . وهناك حاجة في التأكيد على أهمية التنسيق بين المؤتمر البرلماني الأفريقي - العربي والمنظمات الدولية مثل اليونسكو والمنظمات الأفريقية - العربية غير الحكومية في مجال تشجيع التنوع الثقافي والحوار بين الحضارات .

ومن أجل الحفاظ على العلاقات التاريخية والثقافية والاجتماعية بين أفريقيا والعالم العربي فإن البرلمانات مدعوة إلى تشجيع دور المتاحف وتعزيز الوعي الثقافي واحترام كل الأديان والقيم والعمل على إيجاد أرضية مشتركة بين الحضارات من أجل معالجة التحديات التي تواجه البشرية .

تعزيز التواصل بين الثقافات :-

تعتبر العولمة مصدراً كبيراً للتواصل بين الأفراد وزيادة التفاعل بين الحضارات والثقافات في حين تعتبر أساساً للتحديات المتمثلة في الحفاظ على تنوع البشرية الحضاري والثقافي والفكري .

وينبغي على البرلمانات تشجيع التفاعل الثقافي للفاعلين الاقتصاديين و السياسيين في مجال التعاون الأفريقي - العربي ، لذا فإنهم سيصبحون على وعي وأدراك بمدى أهمية اعتمادهم على قيمهم وتوجهاتهم والفهم الأمثل لنمط سلوكيات وأفكار الشركاء الآخرين .

تشجيع التفاعل بين الثقافات :-

بدءاً من الفرضية القائلة بأن القدرة والكفاءة للتفاعل بين الثقافات تشمل ثلاثة ابعاد سلوكية مترابطة وهي عبارة عن ابعاد معرفية وعاطفية وتواصلية ولذا فإنه ينبغي على البرلمانات تشجيع مراكز التدريب المعنية بالثقافات بحيث يحصل من خلالها الدبلوماسيين ورجال الأعمال والطلاب والأطراف ذات العلاقة في القطاع السياحي ليس فقط على إرشادات لاكتساب المعرفة في هذا الجانب فحسب إنما كذلك من خلال إعادة الهيكلة المعرفية ، لذا فإن فهم المبادئ والمفاهيم الأساسية للثقافات الأخرى سوف يجعل الحياة والعمل سهلاً في البلد الآخر .

تعزيز المجتمع المعرفي :-

ينبغي على البرلمانات الأفريقية - العربية - على المستوى الأكاديمي - تشجيع البحوث وتدريب التاريخ والجغرافيا المتعلقة بشبه الصحراء الأفريقية والعالم العربي وذلك بالتركيز على الإمبراطوريات والشعوب والشخصيات المشهورة الأفريقية والعربية التي تناقلها التاريخ والنضال الذي قادته أفريقيا من أجل التحرر وكذلك تدريس اللغات العربية والأفريقية الرئيسية في الجامعات العربية والأفريقية من قبل مثقفين عرب وأفارقة وتدريب المتعمق الحضارات العربية والأفريقية في حين يتم التأكيد على مجالات التقارب بين أفريقيا والعالم العربي كمجتمعات معاصرة من وجهات نظر جغرافية وديموغرافية وثقافية .

تأسيس إطار للتعاون بين الثقافات :-

يتم تشجيع البرلمانات الأفريقية - العربية على خلق إطار للتعاون والحوار بين الثقافات يمكن تحقيق ذلك بالتوقيع على اتفاقيات ثنائية ومتعددة الأطراف تتعلق بالتعاون الثقافي وتعزيز الاتفاقيات القائمة التي من شأنها ان تشجع تبادل المنح الدراسية بين الدول الأفريقية والعربية وكذا دعم مكاتب المدارس وانشاء مراكز ثقافية مشتركة وتنشيط كل القنوات الثقافية الأخرى مثل المعارض والمهرجانات والأسابيع الثقافية وعروض الأفلام والمخيمات الصيفية وتعزيز التفاهم بين الشباب العربي والأفريقي .

الخاتمة :-

تشكل الجغرافيا والتاريخ والعلاقات الثقافية والاجتماعية قاعدة قوية لبناء المجتمع ويستمد هذا البناء نبضه وجذوره الأساسية من الحقيقة التي مفادها ان الدول العربية والأفريقية لها قواسم مشتركة تتمثل في التاريخ الثقافي والاجتماعي الذي يرجع تاريخه إلى قرون عديدة وتحتل نفس المكانة في المحاصصة الدولية في سوف العمل وهي مكانه هامشية . ويجب على البرلمانات الأفريقية والعربية اتخاذ خطوات ملموسة لبناء مجتمع أفريقي – عربي حقيقي على أساس المساواة والمنفعة المتبادلة والوثام المتبادل .

لقد ولدت العلاقات الأفريقية – العربية روابط ثقافية واسعة النطاق بين أفريقيا السودان والشرق الأوسط ، ونجد اليوم احفاداً أفارقة ذوي أعراق مختلطة في بعض الدول العربية ، كما أن هناك سكاناً من أصول عربية في أفريقيا . ولذا فإن (بإمكان هذا التمازج) أن يعمل تعزيز التفاهم بين الدول الأفريقية والعربية وتوفير قاعدة للنهضة الثقافية الأفريقية – العربية .